المحاضرة الثانية :

قصيدة الشعر العمودي :

عد " الشعر " منذ القدم ديوان العرب ، فيه حفظوا أنسابهم وأيامهم وأخبارهم وأفراحهم وأتراحهم وعاداتهم وتقاليدهم ، فظل محل اهتمام النقاد قديما وحديثا ، غير أنه مر بعد انهيار الدولة العباسية ، بفترة جمود مديدة ، وقد كان دخول التتار إلى بغداد 1258م بداية مؤسفة لانحسار الشعر وتضعضع مضامينه ، وغلبة الصيغة والتكلف ، وظل الحال على ماهو عليه حتى بداية العصر الحديث الذي يؤرخ النقاد لبداياته بحملة نابليون على مصر 1798م ، ورغم أن الحملة تبقى إستعمارية غاشمة . إلا أن نتائجها أثرت إيجابا في اليقظة العربية (الطباعة ، الكتاب المطبوع / المسرح / نظم الإدارة / رتب الجيش المقالة / الصحافة .....) والتفت المفكرون العرب إلى واقعهم الشعري المتخلف وآمنوا بإعادة بعث أمجادهم الشعرية ، وهو ما يدعى إصطلاحا ب : الإحياء .

وقاد مسيرة الإحياء النقدي " المرصغي " بكتابه " الوسيلة الأدبية " وتولى تلميذه " البارودي "(1839 – 1904) تطبيق ما دعا إليه أستاذه شعرا .

ويؤكد ذلك في مقدمة ديوانه يقول :

تكلمت كالماضين قبلي بما جرت به عادة الإنسان أن يتكلما

فلا يعتمدني بالإساءة جاهل فلابد لابن الأيك أن يترنما

وقد اعتمد البارودي على المعجم التقليدي العربي الفصيح ، ووقف على الطلل وبكى الدمن وبالغ بالفخر ، وكانت " المعارضة " وسيلته المثلى وأذاته المطواع في ذلك ، حتى غدا شعره غريبا عن زمنه (أنظر محاضرة الإحياء حول البارودي) وقد أسلمت ريادة الشعر الإحيائي فيما بعد إلى " أحمد شوقي " الذي استطاع النظم على الشكل القديم غير أنه طوع معجمه اللغوي ، ويسر على المتلقي فهمه من خلال اختيار اللفظ المأنوس الذي لا يحتاج شرحا ولا يتوغل زمنيا في القديم ، وكانت أشعار شوقي الكثيرة والتي بسطت حضورها على مضامين الشعر القديم جميعها (غزلا وفخرا ومدحا وهجاء ...) سببا في نيله إمارة الشعر مبايعة من شعراء المشرق والمغرب عام 1927 ، ثم حاول إثبات جدارته باللقب في ظل هجوم شرس من الإتجاه التجديدي ممثلا في جماعة الديوان بعامة وفي العقاد بخاصة فكتب في نمط فني لم يسبقه إليه غيره ، وهو " المسرح الشعري " فأبان عن موهبة عظيمة وملكة فذة برغم العيوب الفنية في مسرحه الفني (أنظر درس شوقي والمسرح الشعري) ولعل أبرز ما يميز الإتجاه الإحيائي :

- محاكاة الأساليب العربية القديمة ، والتقيد بأوزان الخليل ، ونظم القصائد الطويلة ، والإلتزام بالروي الواحد والقافية الواحدة .
- النظم في المضامين القديمة (غزل ، فخر ، هجاء ، مدح)
- الإلتزام بالصورة الشعرية التقليدية ، واستخدام الصور البيانية والبلاغية المتوارثة
- الإهتمام بجزيل اللفظ ، والإشتقاق ، واستعادة التراكيب الجزلية القديمة الجاهزة كما هي .
- الإلتزام بعمود الشعر القديم (شرح المعنى وصحته ، جزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها مع تخير لذيذ الوزن ومناسبة المسعار للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائهما للقافية)

وظل الشعر في عصر الإحيائيين غريبا عن نفسه وعن زمنه حتى هبت رياح التجديد الأولى مع المدارس النقدية أبولو ثم الديوان فالرابطة القلمية .

وجدير بالذكر أن قصيدة الشعر العمودي قد ظلت تبسط هيمنتها حتى على رواد الشعر الحر ، مثل نازك الملائكة وبدر شاكر السياب ، وذلك لصعوبة التخلص المباشر من إرث متوارث منذ عقود له سطوته ، وكثير من أشعار السياب منظومة على الوزن القديم بل ويلتزم فيها الشاعر بحرا واحدا وقافية ورويا وحيدين ، ولعل من الملفت أن نقول أن هناك قصائد للسيابل مكتوبة على الشكل الحر ، ولكن تغيير ترتيب الأسطر وإرجاعها إلى النمط القديم يفرز شكلا معتادا ومألوفا هو القصيدة القديمة نفسها وزنا وترتيبا ونسقا .